

## المحاضرة الخامسة: الاستشراق واللغة العربية

تنوع وتعددها اهتمام المستشرقين باللغة العربية من جوانب عديدة ، وغدت إنجازاتهم مراجع أساسية في اللغة والأدب العربي . وهذا ما اعترف به أكثر الباحثين والكتّاب العرب الذين لهم صلة مستمرة بهذه المراجع. وفيما يلي عرض موجز لأهم إنجازاتهم في مجال الاهتمام بالدراسات اللغوية .

**1-** لعل من أهم إنجازات الاستشراق؛ حفظ المخطوطات اللغوية من الضياع ونشرها وطبعها؛ وتم نشرها في الدول الأجنبية، وتعريف الأمم الأخرى بها، وخاصة الدول الغربية.

**2-** مجالات التأليف في الدراسات العربية، فقد أُلّفوا في جميع مجالات اللغة العربية، كتدوين الموسوعات الضخمة والمعاجم، وتاريخ الأدب العربي، ومعرفة اللهجات القديمة، والقواعد العربية، وترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية، وبحوث نقدية وتطبيقية قيّمة، ونشر مجلات خاصة بعلوم الشرق العربي والإسلامي.

**3-** تعتبر المعاجم والقواميس اللغوية، من أهم إنجازات المستشرقين. فهناك مستشرقون ينفقون سنين عمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم، وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتبة حسب المصادر. فقد قضى ((أوجست فيشر)) أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه، وتعاون معه عدد من المستشرقين. أما دائرة المعارف الإسلامية، على الرغم من أن للمسلمين على هذه الدائرة مآخذ كثيرة، فإنها تعدّ من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين. وقد تمّ إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في فترة زمانية من عام 1913م إلى 1938م.

وقد تولّت نقلها إلى العربية لجنة دائرة المعارف الإسلامية من خريجي الجامعة المصرية منذ عام 1933م. وقد عمّد المترجمون إلى نشر تعليقات هامة في أعقاب الكثير من المقالات لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون. وقام بكتابة هذه التعليقات مجموعة من العلماء الكبار وأساتذة الأزهر أمثال: مصطفى عبدالرازق، أمين الخولي، أحمد أمين، إبراهيم مدكور وغيرهم.

**4-** الترجمة إلى اللغات الأجنبية: لم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية، بل قام المستشرقون أيضاً بترجمة مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة. فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلّقات وكتب التاريخ والعلوم الدينية، ومن خلال ذلك عمل المستشرقون بتعريف الثقافة الإسلامية الشرقية إلى العالم الغربي. هذا فضلاً عمّا تُرجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم. وفيما يلي نماذج من هذه الترجمات:

- ترجمة مقامات الحريري إلى الفرنسية للمستشرق سلفستر دي ساسي، المطبوع في باريس 1812م؛ كما قام أيضاً بجمع جملة من المنتخبات العربية في كتاب سماه الأيس المفيد للطالب المستفيد، وترجمه إلى الفرنسية.

- ترجمة السلوك لمعرفة دول الملوك (للمقريري) للمستشرق الفرنسي إتيان كترمير، المطبوع في باريس 184 م.

- ترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنجليزية، للمستشرق الإنجليزي هاميلتون جب، المطبوع في لندن 1958م.

- ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية، للمستشرق إينو ليتمن، المطبوع في برلين 1928 م.

#### 5-الاهتمام بالجوانب اللغوية القرآنية :

بما أن القرآن الكريم هو قمة الإعجاز والبلاغة في اللغة العربية، فقد كان محط أنظار المستشرقين في دراساتهم وبحوثهم. فقام فئة منهم بتدوين كتب ورسالات كثيرة في مختلف مجالات البحث في القرآن الكريم؛ مثل: البلاغة في أسلوب القرآن، التفسير، ترجمة القرآن الكريم، تاريخ القرآن وبحوث مختلفة أخرى. نذكر فيما يلي عددا من هذه الدراسات الاستشراقية حول الجوانب القرآنية اللغوية .

1. تاريخ القرآن (أصل وتركيب سور القرآن) للمستشرق نولدكه المطبوع في 1860م. يعدّ هذا الكتاب من معظم آثار المستشرقين في مجال القرآن.

2. تاريخ القرآن للمستشرق الألماني برجستراسر، المطبوع في 1938م.

3. الجنة في القرآن للمستشرق الألماني جوزف هورفيتش المطبوع في 1923م.

4. الأسماء والأعلام في القرآن أيضاً له المطبوع في 1924م.

5. تاريخ النص القرآني و تاريخ علم قراءة القرآن للمستشرق الألماني بريتل المطبوع في 1938م.

6. أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي، دراسة و تحقيق المستشرق الألماني فرايتاغ (د. ت).

7. الكلمات الأجنبية في القرآن، رسالة دكتوراه للمستشرق الألماني فرانكلين المطبوع في 1878 م.

8. المتشابه في القرآن للكسائي بتحقيق المستشرق الألماني بريتل المطبوع في 1942م.

9. مشروع لاستعمال أسلوب النقد في نشر القرآن بقلم المستشرق برجستراسر المطبوع في 1932م.

10. معجم قراء القرآن و تراجمهم أيضاً لبرجستراسر المطبوع في 1924م.

11. نجوم الفرقان في أطراف القرآن لجوستاف فلوجل المطبوع في 1898 م في جامعة ليستيك في هولندا.

12. اليهودية والنصرانية في القرآن لبوشتارك (د. ت.).

13. مباحث قرآنية للمستشرق هورفيتش المطبوع في 1926م في فرنكفورت.

14. ترجمة مع تفسير موجز للآيات القرآنية إلى الإنجليزية للمستشرق آرثر جون آبري (1955م) لندن.

15. ترجمة القرآن إلى اللغة الدنماركية للمستشرق الدنماركي جوزف بوهل (د. ت.).

16. ترجمة وتفسير القرآن الكريم للمستعرب الروسي موخلينسكي إلى اللغة البلاروسية (د. ت.).

17. ترجمة القرآن إلى الفرنسية للمستشرق الفرنسي ريجيه بلاشر، مع مقدمة طويلة وتفسير قصير. وقد

رُتب هذه الترجمة حسب ترتيب نزول سور القرآن وفقاً لما ظنه هو، وطبع في 1957 م (راميار، 1385هـ ش، ص 675).

18. القرآن والإنجيل والتوراة والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) للمستشرق

الفرنسي الدكتور موريس بوكاي. ترجمه إلى العربية محمد حسن خالد.

## مآخذ الاهتمام الاستشراقي باللغة العربية :

### 1- قضية اللغة العربية الفصحى.

لم يخل جهد المستشرقين من بعض المآخذ. من ذلك اهتمامهم بمسألة استخدام اللغة الفصحى في الإبداع الأدبي، سواء كانت قصة، أم رواية، أم مسرحية، وقد جعلوا هذه القضية من القضايا التي أولوها اهتماماً كبيراً، وقد ناقش " أحمد سمايلوفيتش " هذه القضية في كتابه (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي الحديث)، وأكد أنها من أخطر الهجمات التي تعرّضت لها اللغة العربية، ونقل عن " عثمان أمين " قوله: "إن حملات التغريب شنتها النفوذ الغربي وأعوانه في آسيا وإفريقيا، مصوباً هجماته إلى التراث العربي الإسلامي بوجه عام، وإلى اللغة العربية بوجه خاص"<sup>1</sup>.

### 2- التشكيك في أصالة النحو العربي

شكك بعض المستشرقين في أصالة الأدب العربي وبوجه خاص النحو العربي، وقالوا بأن جذور هذا العلم ترجع إلى اللغة اليونانية والسريانية، وإنما أخذه العرب من اليونان والرومان خلال ترجمة الآثار اليونانية. وزعموا أن ارتباطاً علمياً وفكرياً كان دائراً بين علماء علم النحو العربي مثل: خليل بن أحمد وأبي الأسود الدؤلي من

<sup>1</sup> أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر؛ (القاهرة: المؤلف، بدون تاريخ) ص 668

جهة، ويعقوب الزهاوي وحنين بن اسحاق - علماء علم النحو اليوناني - من جهة أخرى. والقصد من خلق هذه الشبهة إنكار حضارة الإسلام والعرب، وبقاء الحضارة اليونانية كحضارة أولى في العالم. ومن جملة هؤلاء المستشرقين الذين طوّروا هذه الفكرة ووسعوها هم: إرنست رينان، ميركس وهرفمان و ورسيتك. أما ثروبو - المستشرق الهولندي - فهو الذي ردّ هذه النظرية، واستند على أدلة تاريخية؛ منها:

أولاً. إن حركة الترجمة بدأت في العصر العباسي الثاني، وعلم النحو كان قد بدأ قبل سنين. و ثانياً: علماء علم النحو كانوا على صلة دائمة مع الفقهاء، ولهذا نجد أكثر المصطلحات الفقهية موجودة في النحو؛ مثل: بدل، عرض، نية، حجة، حسن، قبيح و غيرها. أما نيكلسون فهو يعدّ من كبار المستشرقين، وقد اعترف بأن علم النحو وضعت بداياته في عصر الإسلامي بفكرة الإمام علي - رضي الله عنه - وعلى يد أبي الأسود الدؤلي .

### 3 التشكيك في قدرة اللغة العربية على تعاملها مع العلوم الحديثة:

لم ينحصر هجوم المستشرقين على اللغة العربية من خلال إثارة الشبهات حول أصلاتها في التاريخ القديم والعصور العربية المختلفة، بل استمر ليطلال العربية الحديثة، حيث اتهموها بأنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث، وغير قادرة على مواكبة التقدّم العلمي والتكنولوجي. ووصل الأمر ببعضهم إلى اعتبار اللغة العربية بأنها لغةً ميتةً، مثلها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأوربية الحديثة. ومن أدباء العرب المعاصرين الذين أيّدوا هذه الفكرة ودعموها صادق جلال العظم مؤلف كتاب " نقد الفكر الديني " وعبدالعزیز فهمي الذي دعا إلى أن تحلّ الأحرف اللاتينية محلّ الحروف العربية. ومعنى هذا قطع صلة العرب بجميع كتبهم المكتوبة بالحروف العربية. و الواقع هذا ما طرحه المستشرق لويس ماسينيون في البداية، الذي زعم أن ذلك ضرورة للتعايش والتساير مع الحضارة الغربية أو الحداثة، كما يقول المفكرون الجدد - وقام بعض هؤلاء بالاستهزاء وتنفير الشباب من اللغة العربية؛ لأنها صعبة الفهم والكتابة من حيث قواعدها النحوية والبلاغية، وأخذوا يحثّون أبناء الشعب العربي - خاصة في مصر - إلى التمسك باللهجة العامية.

